المحاضرة العاشرة: التعدد اللغوي، الازدواجية ِ الثنائية

**تمهيد:**

التّ عدد اللغوي ظاهرة لغوية موجودة بالقوة في كل المجتمعات التي تتواصل مع غيرها، سواء كان التواصل إجباريا في صورة الاستعمار أم اختياريا في صور عديدة منها: السياحة والتجارةوالتعلم و العمل والانتساب إلخ والتّ عدد اللغوي يعني وجود أكثر من شكلين لغويين من أصل واحد أو لغتين متغايرتين في مجتمع ما، وهو ما يمثله الازدواجية اللغوية من جهة والثنائية اللغوية من جهة ثانية.

**أولا: الازدواجية اللغوية:**

الازدواجية اللغوية خاصية لسانية موجودة في كل اللغات البشرية، والعربية من بين هذه اللغات التي تتوفر على شكلين لغويين يستعملان في مختلف مقامات التواصل الرسمية وغير الرسمية، وبهذا لا تشكل" حالة استثنائية وفريدة، بل تتساوى في ظاهرتها هذه مع عدد كبير من اللغات"[19] . كما يعرفها أحدهم بأنها" وجود مستويين لغويين في بيئة لغوية واحدة" [20] .

ومن الباحثين الذين اهتموا بهذه الظاهرة السوسيو- ألسنية العالم الأمريكي شارل فرجسون والذي عرفها بأنها" وضع لغوي ثابت نسبيا يكون فيه نوع من اللهجات مختلف اختلافا كبيرا عن غيره من الأنواع ومنظم أو مصنف للغاية. وعادة ما يكون هذا النوع أكثر تعقيدا من الناحية اللغوية ...هذا النوع يكون عادة لغة لأدب مكتوب يحظى باحترام أفراد المجتمع...هذا النوع من اللغة يتم تعلمه عن طريق التعليم الرسمي (المدارس والمعاهد)، ويستخدم للعديد من أغراض الكتابة والتحدث الرسمية، ولكن هذا النوع من اللهجة لا يستخدمه أي قطاع من قطاعات المجتمع لغرض المحادثة الرسمية"[21].

**الخصائص التي وضعها فرجسون للازدواجية اللغوية[22]:**

**1/ الوظيفية ( Function)**: والمقصود بها ما يؤديه الشكل اللغوي( الفصحى/العامية) وفق ما تقتضيه المناسبات والأوضاع الاجتماعية، وعدم التوافق بين الشكل اللغوي وما يتطلبه الظرف يعتبر خطأ اجتماعيا، وقد يدعو للسخرية من المتحدث. فعلى سبيل المثال لا يمكن ان نخاطب التجار في السوق اليومية باللغة الفصحى (الشكل الأعلى)، ونحاضر في مدرجات الجامعة بالعامية (الشكل الأدنى).

---

([19]) الازدواج اللغوي، عبد الرحمان القعود، ص 14

([20]) المرجع نفسه، ص 11.

([21]) المرجع نفسه ص20

([22]) المرجع نفسه ص 20

**2/ المنزلة (Prestige)**: اللهجة العليا لهجة عالية المستوى عند أفراد المجتمع، ينظر إليها بالاحترام ولا يقارن مستواها بمستوى اللهجة الدنيا، وهذا الاعتقاد يقود بعضهم إلى اعتبار العامية انحراف عن الفصحى يجب ألا ينساق وراءه أفراد المجتمع، وباعتبار المنزلة قد يتعدى الامر إلى نعت العامية حالة مرضية في المجتمع.

**3/ التراث الأدبي ( Literary Heritage)**: يتمتع الشكل الأعلى بتراث أدبي أكبر من التراث الذي يحظى به الشكل الأدنى والتراث على نوعين:

**أ/** أن يكون امتدادا لتراث سابق مكتوب بالشكل الأعلى من اللغة كالشعر الجاهلي مثلا فاحتفاظنا به ورجوعنا إليه لدليل على تقديرنا واحترامنا له وللغة الفصحى التي كتب بها.

**ب/** قد يكون آتيا من مجتمع آخر غير الذي توجد فيه ازدواجية اللغة فمثلا: اللغة الألمانية المتحدث بها في سويسرا، نجد لغة التراث الأدبي الذي يحظى بالاحترام هي اللغة الألمانية الفصيحة والاعمال الأدبية من تأليف أفراد مجتمع الشكل اللغوي الأعلى – الأدباء الموجودون في ألمانيا –.

**4/ الاكتساب ( Acquisition)**:الشكل اللغوي الأدنى ؛ أي اللهجة المتحدثة في البيت والشارع تكون مكتسبة في ظروف طبيعية، أما الشكل اللغوي الأعلى يكون عن طريق العليم الرسمي .

5/ **المعيارية أو التقنين ( Standarization)**: المعيارية جي التي تمثل الشكل اللغوي الأعلى الذي يمتلك معاجم وقواعد تحدد لمتحدثي اللغة الاستخدام اللغوي الصحيح . غير أن هناك من يرى بأن المعاجم وقواعد النحو تجعل من اللغة معيارية لانا نجد لغات في الشكل اللغوي الأدنى تمتلك هذه المقومات، لهذا أوضح كلوس أنه من الممكن ان نضع اللغة في واحد من المستويات الخمسة التي تمثل المعيارية وهي:

5/**1– اللغة المعيارية الناضجة**: وهي التي توجد في جميع حقول المعرفة كالعربية الفصحى مثلا.

5/**2 – اللغة المعيارية للمجموعات الصغيرة**: هي التي تمتلك أعرافا لغوية للتواصل لكنها لا ترقى للتعامل مع المعطيات الحضارية، إلا أنها تستخدم في التعليم الابتدائي دون استخدامها في المستويات العليا.

5/**3– اللغة المعيارية الحديثة**: تضم اللغات التي وضعت لها معاجم وقواعد النحو حديثا، كما يمكن استخدامها كلغة التعليم في المراحل الدنيا ن كما يمكن أن تستخدم في التعليم الجامعي مستقبلا و هذا يعود إلى سياسة الدول في ذلك. ومثال ذلك اللغة السواحلية في تنزانيا التي كانت تمتلك لا معاجم و لا كتي النحو إلى عهد قريب سنة (1939)، لكن السياسة التعليمية في تنزانيا كانت تطمح في دفع اللغة السواحلية لتجعلها لغة معيارية فألفت المعاجم وكتب النحو و القواعد وفي سنة(1961) اعتمدت لغة التعليم الابتدائي، وتواصلت الجهود للدفع باللغة السواحلية لان تصبح لغة التعليم الجامعي بدل اللغة الإنجليزية فأصبحت لغة لبعض التخصصات ولغة التعليم في كلية تدريب المعلمين.

**4/5 – اللغة المكتوبة غير المعيارية:** يضم هذا المستوى اللغات التي ليس لها معاجم لغوية ولا كتب نحوية، إلا أن أفراد المجتمع اتفقوا على وضع شكل كتابي لها دون قواعد نحوية تضبطها، ومثال ذلك اللغة اللمورقشية في لوكسمبورغ، علما أن اللغتين الألمانية والفرنسية هما اللتان تستعملان في التعليم.

**5/5– لغة ما قبل التعليم(الأمية):** وهي اللغات التي تستعمل في التواصل الكلامي دون الكتابي، وإذا ما أراد أفراد مجتمعها كتابتها يلجؤون على قواعد لغة أخرى.

**6/ الثبات( Stability):** تعتبر ظاهرة ازدواجية اللغة وضعا لغويا ثابتا من الممكن استمراره لمئات الأعوام ،فازدواجية اللغة في العربية يرجع إلى عهد ما قبل الإسلام ،أضف إلى ذلك ظهور اللحن المتسبب في وجود شكل لغوي غير الفصحى ما دفع اللغويين إلى الكتابة بالفصحى.

إن ظهور الازدواجية اللغوية في أي مجتمع يصحبه استخدام كلا الشكلين اللغو يين الأعلى والأدنى كوسيلة للتخاطب والاتصال وهو ما يؤدي إلى ظهور شكل ثالث وسط بينهما كما هو الشأن في العربية الوسطى وهذه العربية استمدت القليل من التراكيب النحوية واعتمدت بشكل كبير على التراكيب النحوية والصرفية للهجات العربية.

7/ **القواعد النحوية ( Grammar):** في مجتمع ازدواجية اللغة يكون هناك اختلاف بين التراكيب النحوية في الشكليين اللغويين الأعلى والأدنى ن فما يوجد في الشكل اللغوي الأعلى يفتقر له الشكل اللغوي الأدنى، فمثلا تظهر في العربية الفصحى علامات الاعراب الثلاثة في أواخر الأسماء في حين تغيب في الشكل اللغوي الأدنى أين نكتفي بتسكين الآخر.

**8/ المفردات( Lexicon):** يشترك الشكلان في معظم المفردات ولكن باختلاف في التراكيب والاستخدام ومثال ذلك ما نجده في أسماء الوسائل الحديثة، ففي الشكل اللغوي الأعلى نجد: الحاسب الآلي والمصباح ، وفي المقابل نجد الشكل اللغوي الأدنى يستعمل: الكمبيوتر واللمبة .

ومن الخواص المرتبطة بالشكلين اللغويين الأعلى والأدنى نجد اشتراك الشكلين في زوج من الكلمات أحدهما يخص الشكل الأعلى والآخر يخص الشكل الأدنى مثل: حذاء/جزمة، رأى/ شاف.

**9/ التراكيب الصوتية( phonology):** يشكل النظام الصوتي للشكلين اللغويين الأعلى والادنى وحدة و احدة ، يكون التركيب الصوتي للشكل اللغوي الأدنى هو الأساس.

وخلص فرجسون إلى أن" ازدواجية اللغة تشتمل فقط على الأمثلة التي يكون فيها كل من الشكل اللغوي الأعلى والادنى لهجتين لنفس اللغة، كما استبعد ان يكون الشكلان اللغويان لغتين مختلفتين "[23]

([23]) ازدواجية اللغة إبراهيم صالح الفلاي126.

وهذا الرأي يخالفه فيشمن الذي يرى بأن" ازدواجية اللغة ليست مقتصرة فقط على وجود لهجتين، في المجتمع إحداهما فصيحة والاخرى عامية. ولكنه يرى أن ازدواجية اللغة تشمل اللهجات والأساليب المختلفة للهجة الواحدة وحتى اللغات المختلفة، فطرفا ازدواجية اللغة في مفهوم فيشمن لا يهم إن كانتا لهجتين أو أسلوبين أو لغتين أو خلافهما، ولكن أن يخدم أحد هذه الاشكال الوظائف العليا بينما يخدم الشكل الاخر الوظائف الدنيا"[24] .

هذه الرؤية تقودنا إلى المظهر الثاني للتعدد اللغوي ألا وهو الثنائية اللغوية.

**ثانيا/الثنائية اللغوية:** أمام كثرة التعريفات التي تناولت الظاهرة سنحاول التطرق إلى بعضها بالنظر إلى فاعليتها التواصلية، وإلى البعض الآخر بالنظر إلى امتلاك متكلميها الكفاءة اللغوية للغتين.

1- الحالة اللغوية التي يستخدم فيها المتكلمون، بالتناوب وحسب البيئة والظروف اللغوية، لغتين مختلفتين.

2 – استعمال لغتين على نحو مماثل لاستعمال أبناء كل لغة من اللغتين.

3 - نقول إن الفرد ثنائي اللغة حين يمتلك عدة لغات تكون كلها مكتسبة كلغات أمّ .

4 – الثنائية اللغوية هي الوضعية اللغوية لشخص ما أو لجماعة بشريةمعيّنة تتقن لغتين، وذلك من دون أن تكون لدى أفرادها قدرة كلامية مميزة في لغة أكثر مما هي في اللغة الأخرى [25].

من خلال التعريفين (1و2) نستنتج أن الثنائية اللغوية تتعلق بمدى قدرة المتكلم في توظيف مكتسباته اللغوية في اللغة الثانية كلما تطلب الأمر ذلك، على أن يراعي في ذلك مطابقة الحال لمقتضى كلامه، كما يفعله أبناء اللغة الأصليين في مواقف تواصلهم، من دون الالمام بقواعد وتراكيب اللغة الثانية فالتركيز هنا على الكفاءة التواصلية قبل الكفاءة اللغوية. أما التعريف(3و4) ففيهما يكون التركيز على الكفاءة اللغوية التي يجب على متكلم اللغة الثانية أن يمتلكها كما اكتسب نظام لغته فيكون بذلك ممن يتجاوزون التواصل إلى الابداع في اللغة الثانية شأنهم في ذلك شأن أبناء اللغة الأصليين.

**أسباب حدوث الثنائية اللغوية [26]:**

1/ **البنية اللغوية للدولة:** تُستخدم بعض اللغات بوصفها لغات رسمية في عدة دول، فمثلا نجد الاسبانية في جميع أنحاء أمريكا الوسطى والجنوبية، والانجليزية في كثير من دول الكومنولث. كما توجد نحو 516 لغة في نيجيريا، 427 في الهند، 275 في تنزانيا. إلا أننا نجد من الدول التي لا يوجد فيها التعدد اللغوي لأسباب جغرافية كما هو الحال في جزر جرينلاند وسانت هيلينا، كما للانعزال السياسي الدور نفسه كما هو الحال في كوريا الجنوبية وكوبا.

---

([24]) ازدواجية اللغة إبراهيم صالح الفلاي ص 85.

([25]) ميشال زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية ، دراسات لغوية اجتماعية نفسية، مع مقارنة تراثية ، ص 35 ،36.

([26]) ينظر فرانسوا جروجون، ثنائيو اللغة، ترجمة زينب عاطف، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ط 1 ، 2018 ، ص21...81

**2/ حركة الشعوب**:تنقل الناس يؤدي إلى نشوء الثنائية اللغوية فبسبب الهجرة يُستخدم حاليا في لندن 300 لغة وفي بوسطن يتحدث سكانها البالغ عددهم 80 ألف نسمة نحو 65 لغة. هذه الهجرة يمكن تسميتها بالتقليدية أين يكون الاحتكاك مباشرا، أما في زماننا يمكن أن تحدث الثنائية عن طريق الوسائط الالكترونية كالهاتف والانترنيت.

3/ **التعليم والثقافة:** هما من أهم مجالات تعلم اللغات واستخدامها وبها يسمح للمتعلم الاطلاع على ثقافات الأمم للاستفادة من خبراتهم وتجاربهم في مختلف المجالات الحياتيةواستجابة لضرورات الحياة المتزايدة يوما بعد يوم.

**جدول تلخيصي لأهم الفروقات بين ازدواجية اللغة والثنائية اللغوية:**

| ازدواجية اللغة | الثنائية اللغوية |
|---|---|
| -خاصة بالمجتمع<br>-تتعامل مع أشكال اللغة الواحدة: الفصحى ومختلف اللهجات<br>-لا وجود لمستويات لازدواجية اللغة: موجودة/غير موجودة.<br>-مرتبطة بعلم الاجتماع. | -خاصة بالفرد<br>-تتعامل مع لغتين مختلفتين<br>-وجود مستويات للثنائية اللغوية؛ الفرد الذي يتقن اللغة الثانية ليس كمن يعرف بعض الكلمات.<br>-جزء من علم اللغة النفسي. |